

حين يُقتل الحب،
تبدأ رحلة لا عودة منها...
بين الانتقام والحب،
لا يوجد قلب يظل نقياً.

بلقيس

التي أحبته...
فخائنه القدر.

مازن

وحبٌ قُتل...
لن ينسى.

الواحة القرمزية

رواية من تأليف
حمزة الحاج بيهي

الواحة القرمزية

رواية

الكاتب : حمزة الحاج بيهي



في ظل النخيل

كانت "بطن الوادي" قرية صغيرة، لا يتجاوز عدد بيوتها أصابع اليدين مرتين، لكنها كانت كافية لأن تحتوي عالمًا كاملاً من الحياة البسيطة الصادقة. تحيط بها الكثبان من كل جانب، كأنها دروع رملية تحميها من قسوة الصحراء الممتدة بلا نهاية، وفي وسطها تتبع بئر قديمة يقال إن أحد الحكماء حفرها منذ زمن بعيد، حين كانت الأرض هناك مجرد سراب.

كان مازن ابن هذه القرية، نشأ بين رمالها وسمع حكاياتها قبل أن يتعلم الكلام. لم يكن غنيًا، ولا من سلالة الزعماء، لكنه كان معروفًا بطيبة قلبه وقوة ساعده. كل صباح، كان يخرج مع الإبل إلى أطراف

الواحة، يرها حتى الظهيرة، ثم يعود ليجلس معالحكماء تحت ظل النخيل، يستمع إلى قصصهم عن عالم الجن، عن الحروب القديمة، وعن مخلوقات لم يرَها أحد من البشر إلا في أحلامه.

لكن أكثر ما كان ينتظره مازن كل يوم، لم يكن الظهيرة ولا المساء مع الحكماء... بل تلك اللحظة التي يغرب فيها الشمس، حين تجلس أريناس عند حافة الواحة .

كانت أريناس ابنة أحد الرعاة، فتاة بسيطة في مظهرها، لكنها كانت تحمل في عينيها شيئاً غريباً، لوناً نادراً بين الكحلي والأخضر، يتغير مع تغير ضوء الشمس، كأن السماء والبحر تصارعا فيها على الفوز .

في ذلك المساء، كان مازن يمشي نحوها وفي يده
باقية من زهور الصحراء البرية، التي لا تنمو إلا قرب
مصادر الماء النادرة.

"أريناس!" ناداها وهو يقترب، وابتسامته تسبقه .

رفعت رأسها من نسيجها، وضحكت حين رأت
الزهور. "ما هذا، يا مازن؟ هل أصبحت بستانياً
الآن؟"

جلس قربها، ومد يده بالزهور. "وجدتها عند
الصخور الشرقية. فكرت أنها تشبهك... نادرة
،وجميلة، ولا تنمو في كل مكان".

أخذت الزهور بيدين مرتجفتين من الخجل، وقرّبتها
من وجهها لتتنشق رائحتها. "أنت تقول كلاماً جميلاً

جَدًّا، يا مازن. أخشى أن تجعل قلبي يتعب من كثرة الفرح".

ضحك مازن. "وهل الفرح يُتعب القلوب؟ ظننت أن التعب يأتي من الحزن فقط".

"لا"، قالت أريناس وهي تضع الزهور في حجرها بلطف، "الفرح الكبير يُتعب أيضًا، لأن القلب يخاف أن يفقده".

نظر إليها مازن طويلاً، ثم قال بصوت هادئ: "لن تفقديه، أريناس. أعدك بذلك".

صمتت لحظة، ثم سأله بصوت خفيض: "كيف تضمن وعدًا كهذا؟ الحياة لا تسأل أحدًا قبل أن تأخذ منه".

"لا أضمنه بقوتي"، أجاب، "بل بقلبي. وقلبي

لا يعرف طريقًا آخر غيرك منذ زمن طويل."

ابتسمت أريناس، وأطرقت برأسها قليلاً، ثم رفعت

عينها إليه من جديد. "وأنا أيضاً، يا مازن. كل مساء

أنتظر مجيئك أكثر من انتظاري لغروب الشمس نفسه.

أحياناً أتساءل... ماذا كانت ستكون حياتي لو لم

أعرفك؟"

"لا تتساءلي"، قال بسرعة، كأنه يخاف من فكرة كهذه.

"فكري فقط في الأيام القادمة. في أننا سنكبر هنا، عند

هذه الواحة، وستظل هذه النخلة" - أشار إلى نخلة

قريبة - "شاهدة على كل لقاءاتنا".

ضحكت أريناس بصوت رنان. "هل سنخبر أولادنا،
إذن، أن أبويهما تعارفا تحت نخلة عجوز؟" احمرّ
وجه مازن خجلاً، لكنه ابتسم. "أجمل القصص تبدأ من
أبسط الأماكن، أريناس. لا يهم أين بدأت، يهم إلى أين
ستصل".

اقتربت منه أكثر، وقالت بصوت يكاد يكون همساً:
"أريد أن تصل إلى الأبد، يا مازن. لا أريدها قصة
تنتهي".

أخذ يدها بين يديه، وقال: "لن تنتهي. أعدك أن
صوتي سيكون آخر ما تسمعيه كل ليلة، وأن وجهي
سيكون أول ما تريه كل صباح، طالما بقيت الحياة
في عروقي".

بكت أريناس قليلاً، لكنها كانت دموعاً من ذاك النوع الذي يخرج حين يكون القلب مليئاً أكثر مما يحتمل. "لماذا تجعل كلامك يشبه الشعر، يا مازن؟ أنت راعيايل، لا شاعر!"

ضحك بصوت عالٍ هذه المرة. "ربما الحب يجعل من كل إنسان شاعرًا، حتى لو لم يكن يقصد ذلك."

جلسا طويلاً، يتحدثان عن كل شيء وعن لا شيء، عن أحلامهما الصغيرة: بيت قرب الواحة، أطفال يركضون بين النخيل، شيخوخة هادئة يرويان فيها لأحفادهما حكاية لقائهما الأول.

لم يكن أحدهما يعلم أن تلك الليلة كانت من آخر لياليهما الهادئة... وأن هناك، بين ظلال الكثبان البعيدة، كانت

عينان جنيتان تتأملان المشهد بصمت، تراقبان كل
كلمة، كل لمسة، كل ضحكة... وتحقدان عليها أكثر
فأكثر مع كل لحظة سعادة تمر.



الفصل 2

عينان من الظلال

في أعماق الصحراء، حيث لا يطاء البشر أقدامهم،
وحيث تنتهي الكثبان لتبدأ أرض أخرى لا يراها إلا
من يعرف طريقها، كانت تقع مملكة الجن العظيمة،
مملكة تمتد تحت الرمال وفوقها في آنٍ واحد،
بقصورها المنحوتة من الصخر الأسود والعقيق،

وأسواقها التي تضيئها نيران لا تحرق، وحدائقها التي
تزهـر فيها أشجار غريبة لا وجود لها في عالم البشر .
كانت بلقيس ابنة زعيم أقوى قبائل الجن، قبيلة "بني
الرمـل الأسود"، التي حكمت أجزاء واسعة من هذا
العالم الخفي منذ قرون. كانت بلقيس جنية تفوق
الوصف في جمالها الغريب: شعرها أسود كالليل بلا
قمر، وعيناها تحمـلان لوناً نارياً يتغير حسب مزاجها،
من الذهبي الهادئ إلى الأحمر المـلتهب حين يشتعل
غضبها .

كانت بلقيس تملك كل شيء: القوة، النسب، الجمال
،السحر. لكنها لم تكن تملك ما تريده أكثر من أي شيء
آخر... القلب الذي اختارته بنفسها .

في أحد لياليها، وهي تحلق فوق الصحراء بشكلها
الجنّي الخفي، الذي يجعلها كظل يمر بين النجوم، رأت
من فوق قرية "بطن الوادي" نورًا خافتاً عند الواحة.
نزلت قليلاً، بدافع فضول لا أكثر، لترى ما يجمع هذا
النور .

رأت مازن وأريناس يتحدثان تحت النخلة .
في البداية، لم تكثرث. ما أهمية بشريّين
فقيرين يتحدثان عن حب بسيط؟ لكنها، حين سمعت
صوت مازن وهو يتحدث عن وعوده، وحين رأت
الطريقة التي ينظر بها إلى أريناس، شيء ما في
داخلها تحرك. شيء لم تشعر به من قبل.

عادت في الليلة التالية. ثم التي تليها. كانت تجلس
بشكلها الخفي على أحد الكثبان البعيدة، تراقب

،تستمع، وتشعر بشيء يكبر في صدرها لم تكن قد
عرفته قبلاً: الحسد، يليه الانبهار، يليه شيء أعمق
وأخطر .

ذهبت إلى أحد سحرة قبيلتها العجائز، يدعى "زهير
العجوز"، رجل جني عاش قروناً، يعرف من أسرار
القلوب أكثر مما يعرف أي أحد.

"زهير"، قالت بلقيس وهي تجلس أمامه في
كهفها المليء بالكتب القديمة والتعويذات المعلقة،
"أشعر بشيء غريب تجاه إنسان. شيء لا أفهمه".

ابتسم زهير ابتسامة عارفة. "وما الغريب في ذلك، يا
سيدتي؟ القلوب لا تفرق بين عالم وعالم حين تقع في
الحب".

"لكنه إنسان!" قالت بحدة. "وأنا جنية، ابنة زعيم!
كيف يمكن أن أشعر بشيء نحو كائن أضعف مني بكل
المقاييس؟"

نظر إليها زهير طويلاً، ثم قال: "القوة ليست وحدها
ما يجذب القلوب، يا بلقيس. ربما رأيت فيه شيئاً لا
تملكه أنت: الصدق، البساطة، القناعة. أشياء كثيرة من
جنسنا فقدتها منذ زمن طويل بسبب القوة والسحر".

صمتت بلقيس، وهي تتأمل كلامه. "إذن ماذا أفعل؟"
"إن كان قلبك قد تعلق به حقاً"، قال زهير، "فاذهبي
إليه. أظهرى له نفسك. ربما يقابل صدق شعورك
بصدق مماثل".

لم تكن بلقيس تعلم أن هذا القرار، الذي بدا لها بسيطاً في تلك اللحظة، سيكون بداية النهاية لكل شيء عرفتته من قبل.

• •

في الليلة التالية، تجسدت بلقيس بشكلها الجني الكامل أمام مازن، وهو يسير وحيداً قرب أطراف الواحة بعد أن أوصل أريناس إلى بيتها.

ظهرت أمامه فجأة، كأنها وُلدت من الظلام نفسه.

ارتجف مازن من الصدمة وتراجع خطوة.

"من... من أنتِ؟" سأل بصوت مرتجف، وهو يحاول

أن يتبين ملامحها في ضوء القمر الخافت.

"لا تخف"، قالت بلقيس بصوت هادئ كالحرير،

"اسمي بلقيس. أنا لست من البشر، كما تلاحظ
بالتأكيد".

تراجع مازن خطوة أخرى. "جنية؟ هنا؟ ماذا تريدني
مني؟"

اقتربت منه ببطء، وعيناها تتأملانه بفضول وشغف
غريبين. "أراك منذ أيام، يا مازن. أراك وأرى الفتاة
التي تحبها. هناك شيء فيك يجذبني، شيء لم أشعر به
من قبل تجاه أي مخلوق آخر".

اتسعت عينا مازن من الدهول والخوف معًا. "أنا... أنا
لا أفهم. أنت جنية، وأنا إنسان بسيط. لا يجوز أن..."

"لا تتحدث عن الجواز"، قاطعته بلقيس، وفي صوتها
بدأت تظهر حدة خفيفة. "القلب لا يسأل عن الجواز،

يا مازن. أنا ابنة زعيم أعظم قبائل الجن. أستطيع أن أعطيك حياة لا تتخيلها: قوة، ثروة، عالمًا كاملاً تحت أمرك".

هز مازن رأسه برفق، لكن بحزم واضح. "أنا أقدر... ما تقولينه، لكن قلبي ليس فارغاً لأملأه بعرض آخر. قلبي لأريناس. كان لها قبل أن أعرف أي شيء آخر في هذا العالم، وسيبقى لها".

تجمد وجه بلقيس للحظة، كأن كلامه ضربها كصاعقة. "تختار فتاة بشرية فقيرة... على عرض جنية تملك ما لا يحلم به ملوك البشر؟"

"الأمر ليس عن الثروة أو القوة"، قال مازن بصوت أكثر ثباتاً الآن. "الأمر عن القلب، يا بلقيس. وقلبي اختار منذ زمن طويل".

نظرت إليه بلقيس طويلاً، وفي عينيها بدأ يتلأأ ذلك اللون الأحمر الذي يسبق عاصفة غضبها. "ستندم على هذه الكلمات، يا إنسان".

اختفت في الظلام كما ظهرت، تاركة مازن وحيداً، قلبه يخفق بخوف لم يفهم سببه الحقيقي إلا بعد فوات الأوقات الجميلة كلها .



الفصل 3

الليلة التي احترق فيها كل شيء

مرت أيام بعد ذلك اللقاء الغريب، وبدأ مازن يحاول أن ينسى ما حدث، يقنع نفسه أن الأمر كان مجرد حادثة عابرة، وأن بلقيس، رغم تهديدها، ستتركه وشأنه. لم يخبر أريناس بما جرى، خوفًا من أن يثير قلقها بلا فائدة، أو ربما خوفًا من شيء أعمق لم يستطع تسميته .

في تلك الأيام، كانت أريناس أكثر سعادة من أي وقت سابق. كانت تتحدث عن المستقبل بثقة طفل لا يعرف الخوف .

"مازن"، قالت له ذات صباح وهما يسيران معًا قرب البئر، "حلمت الليلة الماضية أننا نجلس في بيت صغير، وحولنا أطفال يركضون، وأنت تروي لهم قصة كيف قابلتني أول مرة".

ضحك مازن. "وماذا قلت لهم في الحلم؟"

"قلت لهم إنك رأيتني أغني عند الواحة، وظننت أن صوتي قد سحرك." ضحكت أريناس بصوت رنان .
"هل كان الأمر كذلك حقًا؟"

أمسك يدها وهما يمشيان. "كان الأمر أكثر من ذلك. رأيتك تغنين، نعم، لكن ما سحرني حقًا كانت عيناك. شعرت أنني أعرفها منذ زمن طويل، رغم أنها كانت المرة الأولى التي أراها".

توقفت أريناس عن المشي، ونظرت إليه بعمق.
"تقول كلامًا يجعلني أنسى كل مخاوفي، يا مازن.
أحيانًا أخاف أن تكون هذه السعادة كبيرة جدًا لتدوم."
"لا تخافي"، قال بثقة، "السعادة الحقيقية تدوم، لأنها
لا تُبنى على الصدفة، بل على القلب الصادق. وقلباننا
صادقان، أريناس".

لم يكن يعلم أن تلك الكلمات ستكون من آخر اللحظات
الهادئة التي يقولها لها .

• •

في تلك الليلة، بعد أن غربت الشمس وأصبحت السماء
حمراء كجمر خافتة، ذهب مازن وأریناس إلى الواحة
كعادتهما. جلسا تحت النخلة المعتادة، وبدأ مازن
يحدثها عن رحلة بسيطة كان يخطط لها، رحلة إلى

الجمال القريبة لجمع بعض الأعشاب النادرة التي طلبتها
جدتها للعلاج .

"سأذهب غدًا فجرًا"، قال مازن، "وسأعود قبل
المساء. لا تقلقي".

"سأقلق بالطبع"، قالت أريناس وهي تضع رأسها على
كتفه. "أقلق كل يوم تغيب فيه عن عيني، حتى لو كان
غيابًا قصيرًا".

ابتسم مازن وقبّل رأسها. "وأنا أيضًا أقلق عليك، لكن
هذا ما يجعل اللقاء بعد الغياب أجمل، أليس كذلك؟ "
ضحكت أريناس بخفة. "أنت محق كالعادة. لكن عدني
أن تكون عودتك سريعة".

"أعدك"، قال، ونظر إلى عينيها بثبات. "أعدك بكلمات
أملك من صدق".

في تلك اللحظة بالضبط، وبينما كانت الكلمات لا تزال
معلقة في الهواء، ظهرت بلقيس.

لم تظهر هذه المرة بهدوء كما في المرة الأولى .
ظهرت وسط عاصفة من الرمال السوداء، وعيناها
تشتعلان بلون أحمر كالنار، ووجهها يحمل تعبيراً لم
يره مازن من قبل: مزيج من الحقد والألم والجنون .

وقف مازن بسرعة، وتراجعت أريانس خائفة، لم تكن
تعرف من هذا الكائن المرعب الذي ظهر أمامها فجأة.

"مازن"، قالت بلقيس بصوت يرتجف من
الغضب المكتوم، "أعطيتك فرصة. عرضت عليك كل

ما يملكه عالمي، ورفضتني من أجل... هذه؟" أشارت إلى أريناس بازدراء .

"بلقيس، أرجوك"، قال مازن وهو يتقدم محاولاً أن يقف بين بلقيس وأريناس، "لا تفعلي شيئاً تتدمين عليه. هذا ليس ذنب أريناس. هي لا تعرف حتى من أنت." "لا أريد أن أؤذيها"، قالت بلقيس، لكن صوتها كان يحمل تناقضاً واضحاً بين كلماتها وبين النار التي تتراقص في عينيها. "أريد فقط أن تفهم، يا مازن، أنك لا يمكن أن ترفض جنية مثلي وتمضي حياتك بسعادة مع إنسانة عادية".

"أريناس ليست عادية!" صرخ مازن، وفي صوته غضب لم تعهده بلقيس منه. "هي كل حياتي،

وسأحميها مهما كلفني الأمر، حتى لو كان الثمن حياتي
."

اشتد الغضب في عيني بلقيس، وبدأ جسدها يرتجف
من شدة المشاعر المتصارعة بداخلها. "حياتك؟ أنت
تعرض حياتك من أجلها، ولا تعرض شيئاً من أجلي،
رغم كل ما كنت مستعدة لأقدمه لك؟"

"الحب لا يشتري، بلقيس!" قال مازن بصوت
مرتجف من الخوف والغضب معاً. "الحب يُمنح
بصدق، ولا يمكن انتزاعه بالقوة أو التهديد."

في تلك اللحظة، فقدت بلقيس آخر خيط من سيطرتها
على نفسها. اشتعلت يدها بنار سوداء غريبة، ومن

دون أن يستطيع مازن فعل أي شيء، مدت يدها نحو أريناس.

"بلقيس، لا!" صرخ مازن وهو يهرع نحو أريناس، لكنه كان بعيدًا جدًا .

كانت اللحظة أسرع من أي صرخة، أسرع من أي محاولة للإنقاذ. لمست النار السوداء جسد أريناس، وسقطت على الفور، عيناها مفتوحتان تنظران إلى مازن نظرة أخيرة مليئة بالحب والدهشة والألم معًا.

"أريناس!" صرخ مازن، وارتدى على الأرض بجانبها، يحاول أن يوقف ما لا يمكن إيقافه. حملها بين يديه، وهو يصرخ اسمها مرارًا وتكرارًا، لكن عينيها كانتا قد بدأتا تفقدان نورهما.

"مازن..." همست بصوت ضعيف، وهي تحاول أن ترفع يدها لتلمس وجهه. "لا... لا تحزن... كان كل يوم معك... كافيًا..."

"لا تتركيني، أريناس، أرجوك، لا تتركيني!" كانت دموعه تسقط على وجهها، لكن يدها سقطت من يده، وأنفاسها توقفت، وعيناها أصبحتا ثابتتين تنظران إلى السماء بلا حياة .

ساد صمت رهيب. حتى الرياح بدت أنها توقفت . نظر مازن إلى بلقيس، وفي عينيه نار لم يعرف من قبل أنها كانت موجودة بداخله.

كانت بلقيس واقفة، تحقق بما فعلته، وكأن جزءًا منها لم يكن يصدق أنها فعلت ذلك حقًا. لكنها، بدافع كبريائها وغضبها المستمر، لم تظهر أي ندم.

"لقد اخترت"، قالت بصوت بارد، "والآن تذوق ثمن اختيارك".

اختفت في عاصفة من الرمال السوداء، تاركة مازن وحيدًا مع جسد حبيبته بين يديه، تحت سماء بدت في تلك اللحظة أكثر قسوة وبرودة من أي وقت آخر.

بقي مازن هناك حتى طلوع الفجر، يحمل أريناس بين يديه، لا يتكلم، لا يبكي، فقط ينظر إلى وجهها الهادئ، كأنها نائمة، كأنها قد تستيقظ في أي لحظة وتطلب منه أن يحكي لها قصة جديدة.

لكنها لم تستيقظ .

في تلك اللحظة، وقف مازن، حاملاً جسدها، ونظر إلى السماء، وقال بصوت متهدج لكنه ثابت: "أقسم، أمام كل النجوم التي شهدت حبنا، وأمام كل الرمال التي احتضنت خطواتنا... لن أعود إلى ديارى، ولن أعرف الراحة، حتى أفنى قبيلة بلقيس عن آخرها ."

كانت تلك الكلمات بداية رحلة لن تعرف الصحراء مثلها أبداً .

• •

دفن مازن أريناس عند سفح التلة التي كانت تحب الجلوس عليها كل صباح، حيث يمكن للشمس أن تلامس قبرها أول كل يوم. لم يدفنها في مقبرة القرية،

بل اختار لها مكانًا خاصًا، يشبه المكان الذي عاشت فيه
أجمل لحظاتها .

وقف الحكماء والجيران حوله، يحاولون تخفيف حزنه
بكلمات لم تكن كافية، ولن تكون كافية أبدًا. لم يبك
مازن أمامهم. كان حزنه أعمق من الدموع، تحول إلى
صمت ثقيل، وإلى نظرة في عينيه لم يعرفها أحد من
قبل .



في الليلة التي تلت الدفن، حزم مازن حقيبة صغيرة: قليل من الطعام، قربة ماء، وخنجر والده القديم. لم يكن يعرف إلى أين سيذهب، لكنه كان يعرف أنه لن يبقى .

جاءه جده الكبير، "عامر"، أحد حكماء القرية، وجلس بجانبه وهو يحزم أشياءه .

"إلى أين تنوي الرحيل، يا مازن؟" سأله عامر بصوت هادئ، مليء بالحكمة التي تأتي من سنوات طويلة .

"لا أعرف بالتحديد"، أجاب مازن دون أن يرفع عينيه عن حقيبته. "أعرف فقط أنني أقسمت أن أفني قبيلة

بلقيس، وأعرف أنني لن أستطيع فعل ذلك
بيديا لعاريتين".

هز عامر رأسه ببطء. "قسمٌ ثقيل، يا ابني. قبيلة بلقيس
من أعظم قبائل الجن، تمتد جذورها في الصحراء
كجذور النخيل القديمة. إنسان واحد، بلا سلاح، بلا
حلفاء، لن يصنع فرقًا."

رفع مازن عينيه إليه أخيرًا. "أعرف ذلك. لهذا أحتاج
إلى مساعدتك، يا عامر. أنت تعرف القصص القديمة
أكثر من أي إنسان في هذه القرية. أخبرني... هل هناك
طريقة؟ هل هناك سلاح، أو قوة، يمكن أن تجعل من
إنسان عاديٍّ خصمًا يحسب له حساب في عالم الجن؟"

صمت عامر طويلاً، ينظر إلى النار المتراقصة أمامهما، كأنه يستحضر ذكريات قديمة دفنها الزمن.

"سمعت في شبابي"، قال أخيراً، "حكايات عن ثلاثة خواتم أسطورية، صنعها حكماء وملوك من زمن سابق لزمنا هذا بقرون طويلة. خاتم زرقاء اليمامة، الذي يكشف كل خداع وكل سحر. خاتم المارد الأحمر، الذي يخضع جيشاً كاملاً من المردة لحامله. وخاتم الملك الأسير، الذي يحرر جيشاً قديماً من الجن المعمرين كان محبوساً منذ آلاف السنين."

اتسعت عينا مازن، وشعر للمرة الأولى منذ موت أريناس بشيء يشبه الأمل. "وأين أجد هذه الخواتم؟" "هنا تكمن المشكلة، يا مازن"، قال عامر بجدية. "لا أحد يعرف أماكنها بالتحديد. القصص تقول إنها مخفية

في أعمق أركان الصحراء، محمية بسحر قديموالغاز
لا يفكها إلا من يستحق حملها. كثيرون بحثوا عنها على
مر القرون، ولم يعد أحد منهم".

"لا يهمني الخطر"، قال مازن بصوت ثابت. "فقدت
كل ما كان يهمني في هذه الحياة. لم يتبق لي شيء
أخاف عليه".

نظر عامر إليه طويلاً، وفي عينيه مزيج من القلق
والفخر. "إذن، اسمع جيداً. يقال إن أول من يمكن أن
يدلك على طريق الخواتم هو رجل يدعى "ياسر
الأعمى"، حكيم عجوز يعيش عند واحة النخيل
البعيدة، خلف جبال الرمل السوداء، على مشارف

الصحراء الكبرى. فقد بصره منذ شبابه، لك نه، كما
يقال، يرى ما لا يراه المبصرون".

"كيف أجده؟"

"اتبع النجم الذي لا يتحرك، النجم الشمالي، حتى
تصل إلى الجبال السوداء. هناك، ستجد واحة
صغيرة، وفي وسطها كهف. سيكون ياسر هناك، إن
كان لا يزال على قيد الحياة".
وقف مازن، وحمل حقيبتة على ظهره. "شكرًا لك، يا
عامر. لن أنسى هذا".

أمسك عامر بيده قبل أن ينصرف، ونظر إليه بعينين
مليئتين بالقلق. "مازن، اسمعني جيدًا. الانتقام طريق

طويل ومظلم، وقد يأخذ منك أكثر مما تتوقع. لا تدع
الحقد يبتلع كل ما كان جميلاً في قلبك."

ابتسم مازن ابتسامة حزينة. "حقدي هو كل ما تبقيمن
قلبي الآن، يا عامر. لكنني أعدك أنني سأحاول ألا أفقد
نفسي بالكامل في هذا الطريق."

• •

غادر مازن قريته عند الفجر، دون أن ينظر خلفه.
سار أيامًا طويلة عبر الصحراء، تحت شمس حارقة
نهارًا وبردٍ قارس ليلاً، يتبع النجم الشمالي كما أخبره
عامر، حتى بدت جبال الرمل السوداء تتشكل في الأفق
كظلال عملاقة تحرس الصحراء .

في طريقه، لم يكن وحيدًا تمامًا بأفكاره. كان وجه
أريناس يظهر له في كل غروب، في كل لحظة هدوء

،وكان صوتها يتردد في ذهنه: "أجمل القصص تبدأ من أبسط الأماكن، يهم إلى أين ستصل".

"سأصل، أريناس"، كان يهمس لنفسه وهو يسير.
"سأصل، وسأنتقم لك، حتى لو كان ذلك آخر ما أفعله في هذه الحياة".

بعد سبعة أيام من السير المتواصل، وصل مازن إلى سفح الجبال السوداء. كانت صخورها حادة ومظلمة، كأنها نُحِتت من ظلام الليل نفسه. تسلقها بصعوبة، حتى وصل إلى الجهة الأخرى، حيث رأى، وسط بحر من الرمال الذهبية، بقعة خضراء صغيرة: واحة نخيل، تمامًا كما وصفها عامر.

نزل مازن نحوها بخطى متعثرة من التعب والعطش
،و حين وصل، شرب من مائها العذب حتى ارتوى، ثم
بدأ يبحث عن الكهف .

وجده عند أقصى الواحة، فتحة صخرية مظلمة
تختفي عمق التلة. تردد مازن للحظة، ثم أخذ نفساً
عميقاً ودخل.

كان الكهف مظلمًا، لكنه لاحظ بريقًا خافتاً في
الأعماق، ضوء نار صغيرة. تبعه حتى وصل إلى
غرفة واسعة، حيث رأى رجلاً عجوزاً جالساً قرب
نار متراقصة، عيناها مغمضتان بشكل دائم، وملامح
وجهه محفورة كأنها صخر الجبال نفسها.

"دخل إنسان إلى كهفي"، قال الرجل العجوز دون أن
يفتح عينيه، بصوت أجش لكنه مليء بقوة غريبة.
"خطوات ثقيلة بالحزن، ورائحة الانتقام تسبقك
كالعطر السيئ".

تجمد مازن في مكانه. "أنت... ياسر الأعمى؟"
"وأنت مازن، ابن بطن الوادي، الذي خسر
حبيبته على يد جنية حاقدة." لم يكن هذا سؤالاً، بل
تأكيداً.

"كيف تعرف ذلك؟" سأل مازن بذهول .
ابتسم ياسر ابتسامة غريبة. "فقدت بصري منذ خمسين
عامًا، يا ولدي، لكنني اكتسبت بصيرة أعمق منه. أرى
الأشياء التي يحملها القلب، لا التي تحملها العين.

وقلبك، يا مازن، يحمل عاصفة من الحزن والغضب
لم أرَ مثلها منذ زمن طويل."

جلس مازن أمامه، قرب النار. "جئت أبحث عن
الخواتم الثلاثة. زرقاء اليمامة، المارد الأحمر،
والملك الأسير. أخبرني عامر، حكيم قرיתי، أنك قد
تعرف أين أجدها."

هز ياسر رأسه ببطء. "عامر لا يزال يذكرني بعد
كلهذه السنين. حسن. نعم، أعرف عن الخواتم، لكن
معرفة مكانها لا تكفي، يا مازن. هذه الخواتم لا تؤخذ،
بل تمنح، لمن يستحقها فقط." "وكيف أثبت أنني
أستحقها؟"

"بالاختبار، كما فعل كل من سبقك"، قال ياسر .

"وأحذرك، كثيرون حاولوا، وقليلون نجوا، وأقل منهم
نجح".

"لا أملك خيارًا آخر"، قال مازن بحزم. "أقسمت قسمًا
لن أراجع عنه".

تأمله ياسر بعينيه المغمضتين كأنه يرى عبرهما روحه
بالكامل. "خاتم زرقاء اليمامة هو أقرب الخواتم
وأسهلها، نسبيًا. يقع في أطراف صحراء العطش
الكبرى، شرقًا من هنا، عند آثار مدينة قديمة دُمرت
منذ آلاف السنين تدعى "إرم القديمة الصغرى". -
ليست المدينة الأسطورية الكبرى، بل مستوطنة تابعة
لها، اختفت تحت الرمال. هناك، تحرس الخاتم روح
يُقال إنها كانت كاهنة الزرقاء نفسها، زرقاء اليمامة،
التي عُرِفَتْ ببصيرتها النادرة في حياتها".

"وكيف أحصل على الخاتم منها؟"

"بالصدق"، قال ياسر. "الزرقاء لا تخذعها الأكاذيب، وهي تكره الخداع أكثر من أي شيء آخر، لأنها فقدت حياتها بسببه. إن كنت صادقًا في نيتك، صادقًا في حزنك وغضبك، فقد تمنحك الخاتم. أما إن حاولت الكذب أو الخداع، فلن تخرج من تلك الآثار حيًا."

وقف مازن، شعور جديد يملكه، مزيج من الخوف والتصميم. "سأذهب إلى هناك".

"انتظر"، قال ياسر، ورفع يده. أخذ من جانبه قطعة قماش قديمة ملفوفة بعناية، وفتحها لتكشف عن بوصلة صغيرة معدنية، عليها نقوش غريبة تتلألأ بضوء خافت. "هذه بوصلة بسيطة، ليست بوصلة الأرواح

الأسطورية التي تسمع عنها في القصص ، لكنها ستساعدك في إيجاد طريقك عبر الصحراء حتى الآثار. خذها، هدية أخيرة من رجل عجوز فقد الكثير من أصدقائه في رحلات مشابهة لرحلتك ."

أخذ مازن البوصلة بيدين مرتجفتين من الامتتان.
"شكرًا لك، ياسر. لن أنسى هذا الجميل."

"لا تشكرني بالكلام، يا ولدي"، قال ياسر بصوت فيه حزن خفي. "اشكرني بالنجاة. كثيرون مروا من هنا قبلك، وقلوبهم كانت مليئة بالأمل نفسه الذي أراه في عينيك الآن. لا أريد أن أسمع أن اسمك أصبح حكاية أخرى من حكايات من ضاعوا في الرمال".

"سأعود"، قال مازن بثقة لم يشعر بها منذ أيام .

"سأعود بالخاتم، وسأكمل رحلتي حتى النهاية".

غادر مازن الكهف مع شروق الشمس، والبوصلة بين يديه تشير شرقًا، نحو آثار إرم الصغرى، ونحوأولا اختبار حقيقي في طريقه الطويل نحو الانتقام داخله، كانت عاصفة من العزم لا تعرف الهدوء .



سار مازن أيامًا أخرى تتبع البوصلة الصغيرة التي أعطاه إياها ياسر الأعمى، عبر صحراء العطش الكبرى، حيث لا ظل يقي من الشمس، ولا ماء يلطف من الحر. كانت قدماه تتشققان، وشفثاه تبيستا من العطش، لكنه لم يتوقف. كل خطوة كانت بمثابة قسم يتجدد، وكل نفس كان وقودًا للانتقام لم يهدأ .

في اليوم السابع من سيره عبر تلك الصحراء القاسية، بدأت تظهر في الأفق أعمدة حجرية متصدعة، شاهدة

على مدينة كانت يومًا عظيمة، والآن لا يتبقى منها
سوى أنقاض نصفها مغمور بالرمال. كانت هذه آثار
"إرم الصغرى" كما وصفها ياسر.

دخل مازن إلى الأنقاض بحذر، يمشي بين
أعمدة منحوتة بنقوش غريبة لم يفهم معناها، تمثل
مخلوقات نصفها بشري ونصفها شيء آخر لا اسم له.
كان الصمت في ذلك المكان مرعبًا، صمت يثقل
الصدر، كأن المدينة نفسها لا تزال تتذكر يوم دمارها.
وصل إلى ما بدا أنه معبد قديم في وسط الأنقاض، بابه
الحجري الضخم منحوت عليه عين واحدة كبيرة
، تحيط بها أشعة كأنها شمس صغيرة.

دفع مازن الباب بكل قوته، حتى انفتح بصوت صرير عميق يشبه أنين شيء قديم يستيقظ من نوم طويل.

في داخل المعبد، كانت الظلمة شبه كاملة، إلا من شعاع ضوء أزرق خافت يتسرب من عمق القاعة .

تبع مازن الضوء، حتى وصل إلى قاعة دائرية، وفي وسطها تحوم روح شفافة، تأخذ شكل امرأة ترتدي ثيابًا قديمة، وعيناها تتوهجان بضوء أزرق ساطع.

"من اقتحم مرقي؟" سألت الروح بصوت يتردد كصدى في القاعة الفارغة.

تجمد مازن، لكنه تذكر كلام ياسر، وتقدم بثبات. "أنا مازن، ابن بطن الوادي. جئت أبحث عن خاتم زرقاء اليمامة".

حلقت الروح حوله، تتفحصه بعينين تخترقان الروح
أكثر من العين. "كثيرون جاءوا قبلك، يا إنسان
،يطلبون قوة الخاتم. أكثرهم كانوا يكذبون عن نواياهم
،يخفون طمعًا أو حقًا تافهًا. أخبرني، لماذا تريد
الخاتم؟"

أخذ مازن نفسًا عميقًا، وقرر أن يكون صادقًا تمامًا كما
حذره ياسر. "حبيبتي، أريناس، قُتلت أمام عيني على
يد جنية تدعى بلقيس، لأنني رفضت حبها.
أقسمت أن أفني قبيلتها بالكامل. أعرف أن هذا قسم
قاسٍ، وأعرف أنه ينبع من حقد عميق، لكنه صادق.
لا أكذب عليك، يا روح زرقاء اليمامة: أريد هذا الخاتم
لأرى الحقيقة وسط الخداع، ولأجد طريقي في عالم لا
أعرف عنه شيئًا، حتى أصل إلى من قتل من أحب".

صمتت الروح طويلاً، تحوم حوله بصمت، كأنها
تستحضر كل كلمة قالها وتزنها في ميزان لا يرى.

"الحقد"، قالت أخيراً، "كثيراً ما يعمي القلوب، يا
مازن. أنا نفسي قتلت بسبب خداع وكذب، ومنذ ذلك
اليوم، أصبحت أكره الكذب أكثر من أي شيء
في الوجود. لكن كلامك... كلامك صادق. أشعر بصدقه
يتردد كصدى حقيقي، لا كذبة مموهة".

اقتربت الروح من مازن، حتى أصبح وجهها الشفاف
على مقربة من وجهه. "سأخبرك بشيء، يا مازن.
الخاتم لا يمنحك القوة لتنتقم فقط. إنه يمنحك البصيرة
، ليرى صاحبه الحقيقة وسط كل الأكاذيب. لكن احذر:

البصيرة قد ترهقك أكثر مما تتخيل، لأنك ستري أشياء لا يريد القلب أن يراه أحيانًا، حقائق مؤلمة عن نفسك وعن من حولك".

"أنا مستعد لذلك"، قال مازن بثبات. "لم يتبق لي ما أخشى عليه".

ابتسمت الروح ابتسامة حزينة. "كل من يقول هذا، يا ولدي، يكتشف لاحقًا أن هناك دائمًا ما يخشى عليه، حتى لو كان مجرد ذكرى. لكنك صادق، وهذا يكفي".

رفعت الروح يدها، وظهر بين أصابعها الشفافة خاتم صغير، حجره أزرق يتلألأ كقطرة ماء معلقة في الهواء. "خذه. واحمل معه عهدًا: لا تستخدم بصيرته لخداع من حولك، ولا لتحقيق مكاسب شخصية تافهة.

استخدمه للحقيقة، والعدالة، وستجده يخدمك في أحلك اللحظات".

اقترب مازن، وأخذ الخاتم بيد مرتجفة، وارتداه في إصبعه. شعر فوراً بدفع غريب يسري في جسده، وتغيرت رؤيته للحظة، كأن طبقة من الضباب انزاحت عن عينيّه، فرأى نقوشاً خفية على جدران المعبد لم يكن يراها من قبل، وأثراً خافتاً من الضوء يتبع خطى الروح نفسها، أثراً قديماً لحياتها المنسية.

"شكراً لك"، قال مازن بصدق عميق.

"اذهب الآن، يا حامل البصيرة"، قالت الروح، وهي تبدأ بالتلاشي ببطء. "طريقك لا يزال طويلاً،

والخواتم الباقية أصعب مما واجهته هنا. ابحت عن
المارد الأحمر في كهوف الجبال المحترقة، جنوبًا من
هنا، عبر واد يدعى وادي الرماد. وكن حذرًا، فسيد
المردة لا يخضع إلا لمن يثبت قوته بالقتال، لا
بالكلام".

تلاشت الروح تمامًا، تاركة مازن وحيدًا في القاعة،
والخاتم يتلألأ على إصبعه بضوء أزرق خافت، كنجمة
صغيرة وعدت بمرافقته في رحلته الطويلة. خرج
مازن من المعبد مع بزوغ الفجر، وفي عينيها نظرة
جديدة، نظرة من يرى العالم بطريقة مختلفة الآن. نظر
إلى السماء، وهمس: "خاتم واحد، أريناس.
خاتمان متبقيان، وسأكون جاهزًا".



الفصل 6

سيد المردة

اتجه مازن جنوبًا كما أخبرته روح زرقاء اليمامة، نحو وادي الرماد. كانت الأرض هناك تتغير شيئاً فشيئاً، الرمال الذهبية تتحول إلى رمادٍ أسود متفحم، والهواء يحمل رائحة كبريت خفيفة، كأن النار مرت من هذا المكان منذ زمن طويل ولم تغادره تمامًا.

استخدم خاتم زرقاء اليمامة عدة مرات في طريقه، فرأى آثار مخلوقات غريبة على الأرض، آثاراً لم تكن لتظهر لعين عادية. أحياناً كان يشعر بثقل البصيرة كما حذرتة الروح؛ كان يرى أحياناً ظلالاً من أحزان

قديمة معلقة في الهواء، أحزان أرواح ماتت في تلك الأرض المحروقة منذ قرون .

بعد ثلاثة أيام من السير، وصل إلى فم كهف ضخم، تتصاعد من فتحته أعمدة دخان خفيفة، ويصدر من أعماقه صوت هدير بعيد، كأن وحشًا عظيمًا يتنفس في الأسفل .

تردد مازن للحظة عند الفم، ثم تذكر وجه أريناس، وتذكر قسمه، ودخل .

كان الكهف يزداد سخونة مع كل خطوة، حتى وصل إلى كهف داخلي ضخم، تتوسطه بحيرة من الحمم البركانية المتوهجة، وفي وسطها، واقفًا على صخرة عملاقة، كان هناك كائن ضخم، ارتفاعه يتجاوز ثلاثة

أمتار، جسده مكون من نار وصخر منصهر، وعينه
تحرقان كجمرتين حمرتين .

كان هذا المارد الأحمر، سيد المردة.
"إنسان!" زمجر المارد بصوت يهز الكهف بالكامل.
"من أعطاك الجرأة لتدخل عريني؟"

تقدم مازن بثبات، رغم أن قلبه كان يخفق بسرعة
جنونية. "أنا مازن. جئت أطلب خاتم المارد الأحمر".
ضحك المارد ضحكة هزت جنبات الكهف، أشعلت
حمماً جديدة في البحيرة. "خاتمي؟ يا إنسان صغير،
آلاف من أمثالك جاءوا يطلبون الخاتم، وكل واحد منهم
أصبح رماداً في بحيرتي".

"لم آت لأطلبه كهدية"، قال مازن، وهو يستحضر كل
شجاعته. "أتيت لأثبت أنني أستحقه".

اهتزت عينا المارد بفضول مفاجئ. "أثبت؟ بأي وسيلة، يا إنسان ضعيف؟ بسيفك الصغير ذاك؟" أخرج مازن خنجر والده، يعلم تمامًا أنه لا يقارن بقوة هذا الكائن، لكنه لم يكن يملك خيارًا آخر. "بكل ماأملك من قوة، وبكل ما أملك من إرادة لا تنكسر".

زمجر المارد، ونزل من صخرته بخطوة هزت الأرض، واقترب من مازن حتى أصبحت حرارته تلامس جلده كأنه يقف أمام فرن مفتوح. "الإرادة لا تكفي لقهر سيد المردة، يا إنسان".

"ربما لا"، قال مازن، وهو يثبت قدميه على الأرض رغم الحرارة الخانقة. "لكنها ما تبقى لي. خسرت كل شيء آخر".

نظر المارد إليه طويلاً، وفي عينيه النارتين بدا شيء يشبه التقييم، لا الغضب الخالص. "لماذا تريد قوتي، يا إنسان؟ أخبرني الحقيقة، وسأقرر إن كنت تستحق فرصة، أو إن كنت ستصبح رماداً كباقي منسبقوك". أخبره مازن كل شيء: عن أريناس، عن بلقيس، عن القسم، عن الخاتم الأول الذي يحمله الآن. تحدث بصدق كامل، يعلم أن خاتم زرقاء اليمامة كان يضيء بخفة على إصبعه، كأنه يؤكد صدق كلماته أمام المارد.

صمت المارد طويلاً بعد أن أنهى مازن كلامه. "حقد عميق، وقسم ثقيل لإنسان واحد يحمله وحده. أخبرني، يا مازن، ماذا ستفعل بجيش المردة إن

خضع لك؟ هل ستستخدمه فقط للانتقام، أم تخطط

لشيء أبعد من ذلك؟ "

فكر مازن قليلاً قبل أن يجيب. "لا أعرف ماذا

يحمل للمستقبل بعد أن أنتقم. ربما لن يبقى شيء مني

بعد ذلك اليوم. لكنني أعدك بشيء واحد: لن أستخدم

جيشك لظلم الأبرياء، لا من البشر ولا من الجن.

سأستخدمه فقط ضد من ظلمني، وضد من يستحق

العدالة."

اقترب المارد أكثر، حتى كاد وجهه الناري يلامس

وجه مازن. "العدالة، يا إنسان، كلمة يستخدمها كل من

يحمل سيفاً ليبرر ضرباته. لكنني أشعر بصدقك.

هذا نادر، حتى بين أبناء جنسي."

تراجع المارد خطوة، ورفع يده الضخمة، وظهر بين أصابعه خاتم أحمر متوهج كقطعة من الحمم البركانية نفسها. "لن أعطيك هذا الخاتم بسهولة، يا مازن. عليك أولاً أن تواجه قائد جيشي، ذرع، في قتال. إن استطعت أن تثبت أنك تستحق قيادته، فسيخضع لك، وأنا معه".

"أين أجد ذرع؟" سأل مازن.

ضرب المارد الأرض بقدمه الضخمة، فانفتح شق في الصخر، وخرج منه كائن أصغر من المارد لكنه لا يزال ضعف حجم الإنسان، جسده مصنوع من الصخر الأسود الصلب، وعيناه تتوهجان بضوء برتقالي خافت.

"ذرع"، قال المارد، "هذا الإنسان يطلب قيادتك.

اختبره".

نظر ذرع إلى مازن بتقييم صامت، ثم قال بصوت كالحجر يتكسر: "لن أقاتلك بالقوة الكاملة، يا إنسان صغير، فهذا سيقتلك فورًا. سأقاتلك باختبار آخر:

اختبار الصبر والإرادة".

اقترب ذرع، ورفع يده، وظهرت بينها كرة من النار الصخرية. "ستحمل هذه الكرة، وتسير بها حول البحيرة ثلاث مرات، دون أن تتركها تسقط، ودون أن تتركها تحرقك بالكامل. إن نجحت، ستثبت أنك تملك القوة على احتمال الألم من أجل هدفك. إن فشلت..." لم يكمل الجملة، لكن نظرة عينيه أوضحت الباقي.

أخذ مازن نفسًا عميقًا، وحاول أن يستحضر كل قوتها الداخلية، كل لحظة قضاها مع أريناس، كل لحظة ألم منذ موتها. مد يديه، وأخذ الكرة النارية من ذرع.

كانت الحرارة فورية وقاسية، كأن يديه تحترقان من الداخل. صرخ من الألم، لكنه لم يتركها تسقط. بدأ يسير حول البحيرة، خطوة بخطوة، وجلده يتقرح من الحرارة، ودموعه تسقط من شدة الألم، لكنه استمر .

"أريناس"، همس وهو يسير، "هذا الألم لا يساوي شيئاً مقارنةً بألم رؤيتك تموتين بين يدي. سأستمر. سأستمر من أجلك".

أكمل الدورة الأولى. ثم الثانية. كان جسده يرتجف، وكان صراخه يتردد في الكهف، لكنه لم

يتوقف . في الدورة الثالثة، شعر أنه على وشك
الانهيار، أنقواه تخونه، لكنه استحضر صورة أخيرة:
عينياريناس في آخر لحظة، وهي تهمس له ألا يحزن
.

أكمل آخر خطوات الدورة الثالثة بقوة لم يعرف من
أين أتت، وألقى الكرة النارية في البحيرة قبل أن تسقط
من يديه .

سقط مازن على ركبتيه، يديه محترقتان بشدة، لكنه
كان لا يزال واعيًا، لا يزال حيًا.

نظر ذرع إليه بصمت طويل، ثم قال: "نادرًا ما يكمل
إنسان هذا الاختبار، يا مازن. لقد أثبتت إرادة تستحق
الاحترام".

اقترب المارد الأحمر، ومد يده، فالتأمت جروح مازن
بلمسة من ناره العلاجية، تاركة فقط ندبات خفيفة
كذكرى للاختبار. "خذ الخاتم، يا مازن. أنت
وذر عوجيش المردة بالكامل تحت أمرك الآن، حتى
نهاية حربك".

أخذ مازن الخاتم بيد لا تزال ترتجف، وارتداه بجانب
خاتم زرقاء اليمامة. شعر بقوة هائلة تسري في جسده،
وكأن آلاف الأصوات النارية تهمس في أذنه بالولاء.
"شكرًا لكما"، قال مازن بصوت متهدج من التعب
والامتنان معًا.

"لا تشكرنا بالكلام"، قال ذرع، "اشكرنا بالنصر".

سنكون بانتظار نفختك في القرن، حين تكون جاهزا
لقيادتنا إلى المعركة الأخيرة".



الفصل 7

الملك الأسير

بعد أن نال مازن خاتم المارد الأحمر، استراح يومين في كهف ذرع، يستعيد قوته، ويتدرب مع جنود من المردة على فنون قتال جديدة لم يعرفها من قبل: كيف يتحرك بسرعة بين الحمم، وكيف يستخدم النار كسلاح دون أن يحترق بها .

في اليوم الثالث، استدعى المارد الأحمر مازن إليه .
"حان وقت رحيلك، يا مازن. الخاتم الثالث، خاتم الملك الأسير، يقع في مكان لا يصل إليه إلا القليل:

سجن قديم محفور في أعماق جبل يدعى "جبل الصمت"، شمالاً من هنا، حيث حُبس جيش من الجن المعمرين منذ آلاف السنين، بعد أن خانوا ملكهم فيحرب قديمة لم يعد يذكرها أحد".

"خانوا ملكهم؟" سأل مازن. "فلماذا أبحث عن خاتم يحررهم، إن كانوا خونة؟"

ابتسم المارد ابتسامة معقدة. "القصة أعمق من ذلك، يا مازن. ستفهم حين تصل".

سافر مازن شمالاً، عبر أراضٍ لم يرَ مثلها من قبل: غابات حجرية، وأنهار من الرمال المتحركة، وودياناً صامتة تماماً، كأن الصوت نفسه يخاف من دخولها. استخدم خاتم زرقاء اليمامة كثيراً في هذا الجزء من

الرحلة، فرأى أرواحًا هائمة، وآثار معارك
قديمة محفورة في الأرض كجروح لم تلتئم .

بعد أسبوع من السفر، وصل إلى جبل الصمت، جبل
أسود شاهق، خالٍ تمامًا من أي صوت حتى الريح لا
تصفر بين صخوره. وجد عند سفحه فتحة ضيقة تؤدي
إلى الأسفل، إلى ما بدا أنه نظام كامل من السجون
المحفورة في الصخر.

نزل مازن بحذر، يحمل مصباحًا صغيرًا أعطاه له
ذرع قبل رحيله. كل خطوة كانت تتردد بصدى
غريب، كأن الجبل نفسه يتنفس حوله .

وصل إلى قاعة ضخمة، محاطة بأقفاص حجرية
عتيقة، وفي داخلها، يمكنه أن يرى ظلالاً شفافة من

جن معمرين، عيونهم مغمضة، أجسادهم شبه شفافة
، كأنهم نائمون في سجن لا ينتهي.

في وسط القاعة، كان هناك تمثال ضخم لرجل
جنيرتدي تاجًا، وعند قدميه، صندوق حجري صغير
منحوت بنقوش معقدة.

"من يقترب من قاعتي؟" تردد صوت عميق في
القاعة، صوت لم يأت من التمثال، بل من الهواء نفسه،
كأن القاعة كلها كانت تتكلم .

"أنا مازن"، أجاب، صوته يرتجف قليلاً وسط هذا
الصمت الثقيل. "جئت أبحث عن خاتم الملك الأسير".

"الملك الأسير..." تردد الصوت بحزن عميق. "أنا
الملك الأسير، يا إنسان. واسمي زاهر، وكنت ملكًا

عظيمًا على قبائل الجن المعمرين، قبل أن
يخونني جيشي بأكمله في حرب لم تكن لي يدٌ في
إشعالها. "خانوك جيشك بأكمله؟" سأل مازن بحيرة.

"لا"، تنهد الصوت بحزن. "خانني وزيري، وكذب
عليهم، وأخبرهم أنني كنت أخطط لإبادتهم جميعًا من
أجل قوة لا حدود لها. صدقوا كذبتة، وثاروا عليّ،
وحبسوني هنا معهم، بتعويذة لم تستطع كسر ها قوتي
وحدها".

شعر مازن بألم غريب يتردد في صدره، صدى لألمه
الخاص. "هل لا يزالون يصدقون تلك الكذبة؟"

"لا أعرف"، قال زاهر. "نمنا جميعًا منذ ذلك اليوم،
في سجن من الصمت الأبدي، لا نستطيع التحرك،

ولا الكلام، ولا حتى الموت. علقنا بين الحياة والعدم
."

"وكيف أحررك؟"

"الخاتم في ذلك الصندوق الحجري"، قال زاهر.
"لكنه محمي بتعويذة وزير الخائن. لفتحه، عليك أن
تثبت أنك تحمل نية صادقة للعدالة، لا للسيطرة.
التعويذة تختبر القلب، لا القوة".

تذكر مازن خاتم زرقاء اليمامة على إصبعه، وشعر
بنبضة خفيفة منه، كأنه يدعو للاستخدام. رفع يده نحو
الصندوق، واستحضر بصيرته.

فجأة، رأى مشهّدًا يتراءى أمام عينيه، كأنه يعيش
الماضي: وزير غادر، يهمس أكاذيب في آذان
الجنود، يزرع الشك والخوف، بينما زاهر، الملك

الحقيقي، كان يحاول حماية شعبه من خطر خارجي
كان الوزير نفسه قد دبره ليبدو كخيانة من الملك .
"رأيت الحقيقة"، قال مازن بصوت متأثر. "رأيت خيانة
الوزير. أنت لم تكن خائنًا، يا زاهر. كنت ضحية".

ارتجف الصوت في القاعة، كأن دموعًا غير مرئية
تسقط. "بعد آلاف السنين، شخص واحد أخيرًا رآني
كما كنت، لا كما صوروني".

فتح الصندوق الحجري من تلقاء نفسه، وظهر بداخله
خاتم ثالث، حجره أسود يتلألأ بنجوم صغيرة داخله
، كأنه يحمل سماء كاملة محبوسة فيه .

"خذ الخاتم، يا مازن"، قال زاهر. "بارتدائه
، ستحررني وجيشي من سجننا الأبدي. سنخدمك حتى

نهاية حربك، ليس فقط لأنك تحمل قوة الخاتم، بل لأنك
الإنسان الوحيد الذي رأى الحقيقة ولم يكتفِ بالظاهر".

أخذ مازن الخاتم بيد مرتجفة من المشاعر
المتضاربة، وارتداه بجانب الخاتمين الآخرين. شعر
بهزة قوية تجتاح القاعة بأكملها، وبدأت الأقفاص
الحجرية تتحطم واحدًا تلو الآخر، وظهرت أرواح
الجن المعمرين، تستعيد أشكالها الحقيقية، عيونهم
تفتح للمرة الأولى منذ آلاف السنين .

ظهر زاهر نفسه أمام مازن، شكله الكامل: رجل جني
طويل، يرتدي ثيابًا ملكية قديمة، ووجهه يحمل حزن
آلاف السنين، لكن عينيهِ الآن تلمعان بأمل جديد .

"قد جيشنا بحكمة، يا مازن"، قال زاهر، وهو يضع يده على كتف مازن بإيماءة احترام عميق. "نحن مدينون لك بحياة جديدة، ونحن نقسم لك بالولاء حتتنتهي حربك".

نظر مازن إلى جيش من الجن المعمرين يستيقظ من حوله، آلاف الأرواح التي عانت ظلمًا لم يكن لها يد فيه، والآن أصبحت تحت قيادته.

"شكرًا لكم جميعًا"، قال مازن بصوت يحمل ثقلًا جديدًا، ثقل المسؤولية التي بدأت تتشكل على كتفيه. "أعدكم أنني سأقودكم بعدالة، لا بحقد أعمى".

ثلاثة خواتم الآن على يده: زرقاء اليمامة، المارد الأحمر، والملك الأسير. كانت رحلته قد بدأت تتشكل

أخيرًا إلى ما يشبه جيشًا حقيقيًا، وكان الطريق إلى
بلقيس أقرب من أي وقت مضى.



الفصل 8

الآثار والحلفاء

مع الخواتم الثلاثة على يده، شعر مازن أن وزن مسؤولية جديدة بدأ يستقر على كتفيه، أثقل من أي حقد أو حزن حمله من قبل. لم يكن الأمر بعد الآن مجرد رجل يبحث عن انتقام شخصي، بل أصبح قائدًا لجيش من المردة والجن المعمرين، جيش يحتاج إلى أكثر من الغضب لينتصر .

نصحه زاهر، الملك السابق المحرر، بالبحث عن الآثار الأسطورية الأخرى المتناثرة في العالم، تلك التي لا تمنح الولاء كالخواتم، لكنها تمنح قوة قد تحسم المعركة الأخيرة .

"أعرف مكان أحد هذه الآثار"، قال زاهر وهما يسيران معًا خارج جبل الصمت، تتبعهما طلائع منجيشه المستيقظ حديثاً. "سيف الرماد، الذي لا يقتل الجسد فقط، بل يمحو قوة الجن نفسها. صنعه حكيم قديم من حجر سقط من السماء، وأخفاه في معبد منعزل عند حافة صحراء الرعد".

"ولماذا تخبرني عنه الآن؟" سأل مازن.

"لأن قبيلة بلقيس لا تقهر بالأعداد وحدها"، أجاب زاهر بجدية. "هم يمتلكون آثارهم الخاصة، مرعبة بقدر ما هي قوية. ستحتاج إلى سلاح يضمن أن أعظم قادتهم لن يقفوا في طريقك بسهولة".

سافر مازن مع جزء من جيشه الجديد إلى صحراء الرعد، حيث وجد المعبد كما وصفه زاهر، وخاض اختبارًا آخر مع حارس قديم للسيف، رجل حكيم تحول إلى حجر بفعل سحر قديم، اختبر صبر مازن وإرادته بأسئلة فلسفية عميقة عن معنى الانتقام والعدالة، قبل أن يسلمه السيف أخيرًا، شاكرًا له أنه أول من يجيب بصدق منذ قرون.

من هناك، بدأت رحلة مازن تتشكل بسرعة أكبر. مع كل أثر يجده، كان يكتسب حليفًا جديدًا، أو قوة جديدة: في كهوف الشمال، وجد درع النيازك، محميًا بقبيلة جن صغيرة كانت قد عانت بنفسها من ظلم قبيلة بلقيس قبل سنوات؛ انضمت القبيلة بأكملها إلى جيشه بعد أن

رأت صدق نيته في تحرير من تبقى من قبائل مظلومة

.

عند آثار مدينة غارقة تحت الرمال، وجد
بوصلة الأرواح الحقيقية، الأقوى من تلك التي أعطاه
إياها ياسر، تقوده مباشرة إلى أي أثر أو خاتم متبقي.

في واد بعيد، التقى بحكيمة جنية عجوز تدعى
"سلمى"، التي قدمت له صحيفة العهود، كتابًا قديمًا
يحتوي أسماء كل القبائل، تحالفاتها، وخياناتها على مر
القرون. ساعدته الصحيفة على فهم أي القبائل قد تقف
معه، وأيها قد تقف ضده.

وأخيراً، في معبد عند سفح جبل بركاني، وجد القرن
القرمزي، الذي إذا نفُخ فيه، يسمعه كل جيش حليف
مهما كانت المسافة بينهم .

في كل محطة، كان مازن يروي قصته لمن
يقابلهم، بصدق كامل، دون تزيف أو تضخيم. كان
خاتم زرقاء اليمامة يساعده على كشف من يخدعه
ومن يصدقه بحق، وشيئاً فشيئاً، بدأ جيشه يكبر: قبائل
جنعانت من ظلم بلقيس وقبيلاتها، حكماء وسحرة أرادوا
المساهمة بصنع أسلحة وأختام جديدة، وحتى بعض
البشر الذين سمعوا بقصته وأرادوا الانضمام، رغم
خطورة الحرب القادمة.

في أحد الأمسيات، بينما كان مازن يجلس عند نار
المخيم مع زاهر وذرع، سأله زاهر سؤالاً لم يتوقعه:

"مازن، بعد أن تنتهي هذه الحرب، وتحقق انتقامك..."

ماذا سيتبقى لك؟ "

صمت مازن طويلاً، ينظر إلى النار المتراقصة. "لا أعرف، يا زاهر. أحياناً أشعر أن الانتقام هو كل ما تبقى من هويتي. وأحياناً أخرى، أتذكر أريناس، وأتذكر كيف كانت تحب أن أبتسم، وأشعر بالخوف من أن أصبح شخصاً لا تستطيع أن تتعرف عليه إن رأته الآن".

وضع ذراع يده الصخرية الثقيلة على كتف مازن بإيماءة دعم صامتة. "ربما، يا مازن، العدالة التي تسعى إليها ليست فقط لأريناس، بل لكل من عانوا ظلماً مشابهاً. ربما تجد في هذه الحرب شيئاً يتجاوز انتقامك الشخصي".

ابتسم مازن ابتسامة حزينة. "أتمنى ذلك، يا صديقي.
أتمنى أن أجد، في نهاية كل هذا الدم، شيئاً يستحق
العيش من أجله".

انظر إلى السماء المرصعة بالنجوم، وشعر،
للمرة الأولى منذ موت أريناس، بشيء يشبه الأمل

الحقيقي، لا أمل الانتقام فقط، بل أمل بأن يكون لحياته



الفصل 9

نفخة القرن القرمزي

في عالم الجن، وصلت أخبار مازن إلى بلقيس قبل أن يصل هو بنفسه. سمعت عن إنسان يحمل ثلاثة خواتم أسطورية، يقود جيشًا من المردة والجن المعمرين، ويجمع حوله قبائل ساخطة من ظلم قبيلاتها .

في البداية، ضحكت بلقيس من الخبر، رافضة أن تصدق أن إنسانًا واحدًا قد يصبح تهديدًا حقيقيًا. لكن مع كل تقرير جديد يصلها، عن انتصار هنا، عن حليف جديد هناك، بدأ القلق يتسلل إلى قلبها رغم كبريائها .

جلست في قصرها المنحوت من الصخر الأسود
،تستمع إلى تقارير قادتها، وفي عينيها مزيج من
الغضب والحيرة.

"كيف يمكن لإنسان واحد أن يجمع كل هذا؟" سألت
قائد جيشها، جني عجوز يدعى "مرزوق"، كان يخدم
والدها قبلها .

"يبدو أن صدقه ينال ثقة من يقابلهم، يا سيدتي،" أجاب
مرزوق بحذر. "والقبائل التي ظلمناها على مر
السنين، وجدت فيه فرصة للانتقام منا، أكثر من أي
ولاء حقيقي له".

نظرت بلقيس إلى يديها، وفي ذهنها صورة مازن، كما
رأته آخر مرة، عيان مليئتان بالحزن والغضب.

شعرت بشيء يشبه الندم يتسلل إلى قلبها، لكنها دفعته بعيدًا بسرعة، رافضة أن تظهر أي ضعف أمامقاتها. "سنستعد للحرب"، قالت بصوت حازم. "أخرجوا آثارنا القديمة من خزائننا. رمح الشمس السوداء، عباءة الليل، تاج الملكة، خنجر السم الأبدي، وسلسلة الجحيم. سنحتاج كل قوة نملكها".

في الأيام التالية، استدعت بلقيس قادة قبيلتها، أقوى محاربيها، وأخطر سحرتها. وزعت الآثار على من تثق بهم أكثر: أعطت رمح الشمس السوداء لأخيها "نمران"، محاربًا شرسًا يحرق كل ما يلمسه رمحه. أعطت عباءة الليل لقائدة جيش الظلال "ريم"، التي تستطيع الاختفاء داخل الظلال نفسها. احتفظت بتاج الملكة لنفسها، وخنجر السم الأبدي علقتة على

جانبيها، وأعطت سلسلة الجحيم لأقوى
سجانيها، استعدادًا لتقييد أي مارد أو جني معمر قد يقع
في أيديهم .

في إحدى الليالي، وبينما كانت تقف على شرفة
قصرها تتأمل صحراءها المترامية، جاءها أبوها
، زعيم القبيلة العجوز، يدعى "زهرا"، رجل جني
قوي رغم تقدمه في السن، عيناه تحملان حكمة قرون
طويلة .

"بلقيس"، قال بصوت هادئ لكنه مليء بالقلق،
"أخبريني الحقيقة. هل هذه الحرب ضرورية؟"
استدارت إليه بحدة. "هو يريد إفناء قبيلتنا، يا أبي! ماذا
تقترح أن أفعل، أن أنتظر حتى يصل إلى أبوابنا؟"

"أسألك لماذا بدأت هذه الحرب من الأساس"،
قال زهران بحزم غير معتاد. "سمعت ما حدث، بلقيس.
سمعت أنك قتلت إنسانة بريئة، فقط لأن حبيبها رفض
حبك".

تجمد وجه بلقيس، وشعرت بكلمات أبيها تخرقها
كسهم حاد. "أنا... فقدت السيطرة على نفسي في تلك
اللحظة".

"وهذا الإنسان"، تابع زهران، "يقاتل الآن من أجل
عدالة يراها حقيقية. ربما لا يكون مخطئاً تماماً، يا
ابنتي".

اشتعل الغضب في عيني بلقيس من جديد. "أتدافع عنه؟
عن الإنسان الذي يريد إفناء عائلتنا، شعبنا بالكامل؟"

تنهد زهران بحزن عميق. "لا أدافع عنه، بلقيس. أحاول فقط أن أجعلك تريين الحقيقة كاملة، قبل أن يغرق الجميع في حرب قد لا تكون ضرورية لو تعاملت مع الأمر بحكمة منذ البداية".

صمتت بلقيس طويلاً، تتأمل كلام أبيها، لكن كبريائها وخوفها معاً منعها من التراجع. "الأمر تجاوز نقطة العودة، يا أبي. سيأتي إلينا، وسنكون مستعدين".

نظر زهران إليها بحزن، يعلم أن الكلمات لن تغير قرارها الآن. "إذن، سأقف بجانبك، كما أقف دائماً، حتى لو كنت أخشى النتيجة".

في تلك الليلة، نفخ مازن، الذي وصل أخيراً إلى أطراف صحراء قبيلة بلقيس مع جيشه الكامل، في

القرن القرمزي. تردد صدى الصوت عبر الصحراء
بأكملها، وسمعه كل جيش حليف له، من المردة إلّالجن
المعمرين إلى القبائل الساخطة، فتجمعوا جميعاً عند
أطراف الصحراء، استعداداً للمعركة الأخيرة .

نظر مازن إلى جيشه الهائل المتجمع تحت ضوء
القمر، آلاف من المردة والجن، وقبائل بشرية صغيرة
انضمت إليه من قرى عانت من ظلم مشابه. رفع يده
التي تحمل الخواتم الثلاثة، ونادى بصوت يصل إلى
كل من حوله:

"غداً، نواجه قبيلة بني الرمل الأسود! لسنا هنا من أجل
حقدي الشخصي وحده، بل من أجل كل من عانى
ظلمهم على مر السنين! سنقاتل من أجل العدالة، لا من
أجل الدمار الأعمى! وأعدكم، أنني سأقود هذه المعركة

بكل ما أملك من شجاعة وصدق، حتالنهاية! "

ارتفعت صيحات الموافقة من الجيش بأكمله، صدى

يهز الصحراء، استعدادًا لما سيصبح أعظم معركة بين



الفصل 10

المعركة الأخيرة

عند الفجر، اصطف الجيشان على حدود صحراء بني الرمل الأسود، يتقابلان كبحرين هائلين على وشك أن يصطدما. كانت السماء حمراء كالدم منذ شروق الشمس، كأنها تتنبأ بما سيحدث.

من جهة مازن، امتدت صفوف المردة النارية بقيادة ذرع، بجانب أرواح الجن المعمرين بقيادة زاهر، وقبائل الجن الساخطة، وصف صغير من المحاربين البشر الذين انضموا إليه على مر رحلته.

من الجهة الأخرى، اصطفت قبيلة بني الرمل الأسود بكامل قوتها، بقيادة بلقيس نفسها، تقف في المقدمة

وهي ترتدي تاج الملكة، وبجانبها أخوها نمران يحمل
رمح الشمس السوداء، وقائدة الظلال ريم متخفية بعباءة
الليل، وخلفهم آلاف من محاربي القبيلة .

وقف مازن في المقدمة، يرتدي درع النيازك، يحمل
سيف الرماد في يده، وخاتم زرقاء اليمامة يتلألأ على
إصبعه، يكشف له كل خدعة قد تخفيها بلقيس .

رأى بلقيس تتقدم قليلاً من صفها، ونظرت إليه بعينين
تحملان مزيجاً من التحدي والحزن الخفي.

"وصلت أخيراً، يا مازن"، قالت بصوت يصل عبر
المسافة بينهما. "جمعت جيشاً عظيماً من أجل حقدك
".

تقدم مازن أيضاً، حتى أصبحا على مسافة قريبة، كل جيش يقف خلف قائده بصمت متوتر .

"لم أجمع هذا الجيش من أجل حقدي وحده، بلقيس"، قال مازن بصوت ثابت. "جمعته من أجل كل من ظلمتهم قبيلتك على مر السنين. لا يزال أمامك خيار: تسلمي نفسك، وأوقفني إفناء قبيلتك بأكملها، ودعي العدالة تأخذ مجراها بحق من ارتكب الجرائم الحقيقية فقط".

ضحكت بلقيس ضحكة حزينة. "تتحدث عن العدالة، بينما تحمل جيشاً كاملاً لإفناء شعب بأكمله؟ هذا ليس عدلاً، يا مازن، هذا انتقام يتنكر بثوب العدالة".

شعر مازن بكلماتها تخترقه بشكل غريب، لكنه دفع الشك جانبًا. "أنتِ التي قتلت أريناس أمام عيني، بلا رحمة، فقط لأنني رفضتك. أنتِ التي بدأت كل هذا." "وأنت الذي رفض حبًا صادقًا، وكسر قلبًا لم يعرف الرفض من قبل!" صرخت بلقيس، وفي عينيها بدأ يشتعل اللون الأحمر من جديد.

"رفضت حبك لأن قلبي كان لغيرك بالفعل"، قال مازن بحزن عميق. "لم يكن ذلك ذنبًا يستحق موت أريناس".

نظرت بلقيس إليه طويلاً، واللحظة، بدا أن شيئاً من الشك يتسلل إلى عينيها. لكن كبريائها، وخوفها من إظهار الضعف أمام جيشها، انتصرا في النهاية .

"لا مجال للتراجع الآن، يا مازن"، قالت بصوت بارد.
"لنبدأ".

رفعت يدها، وأشارت إلى جيشها، فانطلقت
الصيحة الأولى للحرب .

اندفع الجيشان نحو بعضهما كموجتين هائلتين،
واشتعلت الصحراء بالقتال: نار المردة تتصادم مع
سحر الجن، وسيوف المحاربين البشر تتقاطع مع
رماح محاربي بلقيس، وصرخات الحرب تختلط
بصليل الأسلحة وأصوات السحر المتصادم.

قاد مازن هجومه بنفسه، يقاتل بسيف الرماح، كل
ضربة يوجهها تمحو قوة أي جني يلمسه السيف، تاركًا
إياه عاجزًا تمامًا. واجه نمران، أخا بلقيس، في قتال

ناري شرس، حيث اشتبك رمح الشمس السوداء مع
سيف الرماد في صراع كاد يحرق الصحراء بأكملها
حولهما، حتى تمكن مازن أخيرًا من إصابة نمران
بضربة محت قوته بالكامل، تاركة الرجل عاجزًا يسقط
على الرمال.

في مكان آخر من ساحة المعركة، واجه ذرع وجيش
المردة محاربي بلقيس الأشد قوة، يذبيون دروعهم بنار
لا ترحم، بينما كان زاهر وجيشه من الجن المعمرين
يقاتلون بسحر قديم لم يره أحد منذ آلاف السنين،
يحررون من القيود كل من تأثر بظلم مماثل لظلمهم .

استخدمت ريم، قائدة الظلال، عباءة الليل للتخفي
والهجوم من الظلال، لكن خاتم زرقاء اليمامة على
إصبع مازن منحه القدرة على رؤية حركاتها حتى في

أعمق الظلام، فتمكن من مواجهتها وإيقاف هجماتها المتكررة.

استمرت المعركة ساعات طويلة، حتى غرقت الرمال بالدماء من كل الجانبين، آلاف من المردة والجن سقطوا، وعدد كبير من قبيلة بلقيس سقط أيضًا.

في وسط الفوضى، وجد مازن نفسه أخيرًا وجهًا لوجه مع بلقيس، بعيدًا عن صخب المعركة المحتدمة حولهما .

كانت بلقيس تحمل خنجر السم الأبدي في يد، وفي عينيها مزيج من الغضب والحزن والتعب من حرب طويلة لم ترد حقًا أن تبدأها.

"لقد انتهى الأمر، بلقيس"، قال مازن، سيف الرماد في يده يقطر بدماء معركة طويلة. "جيشك يتراجع.

لا حاجة لمزيد من الموت ".
"لن أترجع"، قالت بصوت متهدج من التعب. "ليس بعد كل هذا الدم الذي سال".

اندفعت نحوه بخنجرها، وبدأ قتال أخير شرس بينهما
،كل ضربة تحمل سنوات من الحزن والغضب
المتراكم. كانت بلقيس سريعة وقوية، لكن مازن كان
يحمل عزمًا لا يلين، وخاتم زرقاء اليمامة يساعده
على توقع كل حركة منها قبل أن تحدث .

في لحظة حاسمة، تمكن مازن من تفادي ضربة
خنجرها، ووجه سيف الرماد نحوها، يلمس كتفها
بجرح غير عميق، لكنه كافٍ لمحو جزء من قوتها

السحرية، فسقطت على ركبتيها، ضعيفة، عاجزة عن الحركة .

وقف مازن أمامها، سيفه مرفوع، وفي عينيه عاصفة من المشاعر المتضاربة: سنوات من الحزن، صورة أريناس في آخر لحظاتها، وقسمه الذي أقسمه تحت سماء تلك الليلة المروعة .

نظرت بلقيس إليه، عيناها فيهما تحدّ أخير، وأيضًا شيء يشبه القبول الهادئ بالمصير الذي اختارته بنفسها منذ تلك الليلة .

"افعلها، يا مازن"، قالت بصوت ضعيف. "أكمل قسمك".

رفع مازن سيفه أعلى، وفي لحظة صمت طويلة
استحضر فيها كل لحظة قضاها مع أريناس، كل لحظة
ألم منذ موتها، أنزل سيف الرماد بضربة أخيرة.



الفصل 11

الواحة القرمزية

سقطت بلقيس على الرمال، وقوتها الجنية تتلاشى
تمامًا بضربة سيف الرماد الأخيرة. لم تمت فورًا، بل
بقيت عيناها مفتوحتين، تنظران إلى السماء، وأنفاسها
تتباطأ ببطء .

ركع مازن بجانبها، سيفه لا يزال في يده، لكن قلبه كان
مليئاً بمشاعر لم يتوقعها: لا الفرح الذي تخيله طوال
رحلته، بل حزن ثقيل وغريب.

"لماذا تنظر إليّ بهذا الشكل؟" همست بلقيس بصوت
ضعيف. "ألا تشعر بالنصر؟"

"لا أعرف ماذا أشعر"، أجاب مازن بصدق. "ظننت أن قتلك سيملأ الفراغ الذي تركته أريناس، لكنه لا يملأ شيئاً. فقط يضيف حزنًا جديدًا إلى الحزن القديم."

ابتسمت بلقيس ابتسامة ضعيفة، آخر ابتسامة في حياتها. "ربما هذه هي الحقيقة التي تتعلمها كل القلوب الحاقدة في النهاية، يا مازن... الانتقام لا يعيد ما خسرناه. يضيف خسارة فوق خسارة".

أغمضت عينيها للمرة الأخيرة، وتلاشى جسدها ببطء إلى رمال سوداء ناعمة، تختلط بصحراء قبيلتها التي حكمتها يومًا.

نظر مازن حوله، إلى ساحة المعركة المغطاة بالدماء والأجساد، من البشر والجن والمردة على حد سواء.

كان النصر الذي حلم به طوال رحلته الطويلة قد تحقق
أخيرًا، لكنه لم يشعر بالفرح الذي توقعه. شعر فقط
بثقل هائل، وبفراغ عميق.

وقف زاهر بجانبه، يضع يده على كتفه. "انتهت
الحرب، يا مازن. حققت قسمك".

"حققته"، قال مازن بصوت متهدج، "لكنني لا أعرف
إن كان يستحق كل هذا الثمن".

أمر مازن جيشه بإبادة نسل قبيلة بني الرمل الأسود
بأكمله، كما أقسم، وتم تنفيذ ذلك بصمت ثقيل، دون
احتفال أو فرح، فقط واجب أخير لقسم قديم لم يعد
يشعر بنفس الحدة التي شعر بها يوم أقسمه .

بعد انتهاء كل شيء، وبينما كان الجيش المتبقي يقف صامتاً وسط الصحراء المغطاة بالدماء، حدث أمر غريب: بدأت الأرض تتشقق في وسط الصحراء، بصوت هزّ كل من تبقى واقفاً.

تراجع الجميع بحذر، وهم يرون الشق يتوسع أكثر فأكثر، حتى انفجرت منه مياه غزيرة، حمراء قانية كالدم، ترتفع كنافورة عملاقة قبل أن تستقر، مكونة بحيرة واسعة في وسط الصحراء، واحة جديدة ولدت من رحم تلك المعركة الدامية.

وقف مازن عند حافة الواحة الجديدة، ينظر إلى مياهها الحمراء التي تعكس ضوء الشمس الغاربة كجمرات متألئة.

"الدماء التي سالت هنا اليوم"، قال زاهر بصوت هادئ وهو يقف بجانبه، "سترؤي عبر الأجيال القادمة، يا مازن. ستصبح أسطورة".

نظر مازن إلى المياه الحمراء طويلاً، وتذكر أريناس، تذكر كل لحظة قضاها معها، كل وعد قطعه لها، وكل لحظة ألم منذ موتها.

"سأسمي هذا المكان"، قال أخيراً بصوت هادئ، "الواحة القرمزية. شاهدًا على كل من فقدوا حياتهم هنا، وعلى ثمن الانتقام الحقيقي".

في الأيام التالية، تفرق الجيش الذي قاده مازن: المردة عادوا إلى كهوفهم البركانية بقيادة ذرع، الجن المعمرون عادوا إلى أراضيهم القديمة بقيادة

زاهر ،الذي وعد مازن أن يحكم بحكمة وعدل أكبر
من الذي عرفه قبل سجنه، والقبائل التي عانت ظلم
بلقيس عادت إلى حياتها، أخيراً متحررة من خوف
دام لأجيال.

أما مازن، فبقي وحيداً عند حافة الواحة القرمزية
لأيام طويلة، يتأمل مياهها الحمراء، يفكر في كل ما
حدث، وفي السؤال الذي تركته بلقيس معلقاً في
أنفاسها الأخيرة: ماذا يتبقى للقلب بعد أن يحقق
انتقامه بالكامل؟

لم يعد مازن إلى قريته أبداً، بطن الوادي، التي تركها
وراءه ذلك اليوم الحزين. اختار أن يعيش حياة جديدة
،يتجول بين القبائل التي حررها، يساعد من يحتاج

المساعدة، يحاول أن يجد في العدالة التي تبقت من رحلته معنى يتجاوز الحقد الذي بدأ كل شيء .

ومع مرور الأجيال، تحولت قصته إلى أسطورة تتناقلها القبائل عبر النيران الليلية، أسطورة عن إنسان واحد جمع جيشًا من الجن والمردة، انتقم لحبيبته المقتولة، وترك خلفه واحة ذات مياه حمراء قانية، شاهدة على أعظم حرب بين الإنسان والجن .

لم يعرف أحد من الأجيال اللاحقة أن تلك الواحة، التي أصبح يطيب للمسافرين الراحة عند ظلها الآن، كانت يومًا ساحة لمعركة غيرت مجرى التاريخ الخفي بين عالمين لا يلتقيان إلا في أحلك لحظات القدر.

وبقيت الواحة القرمزية، إلى يومنا هذا، أسطورة
يرونها الجدات لأحفادهن، تحت سماء صافية
مرصعة بالنجوم، نفس النجوم التي شهدت يومًا حب
مازن وأريناس، وشهدت أيضًا نهاية حرب لم تنسها
الصحراء أبدًا .

****النهاية****